طريق الحج المسيحى بسيناء وادّعاءات اليهود

أ.عبد الرحيم ريحان*

أمّن الإمبراطور قسطنطين الكبير (٣٢٣-٣٣٧م) طريق الحج المسيحى إلى القدس وطور سيناء وبدأت رحلات الحج بعد زيارة الإمبراطورة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين للقدس حيث بنت فيها كنيسة القيامة ٣٣٦م وزارت جبل سيناء وأمرت ببناء برجين وكنيسة العليقة بطور سيناء (منطقة سانت كاترين حالياً)[١]وقد وصلتنا كتابات عديدة للحجاج عبر العصور.

فبين أعوام ٣٨١ - ٣٨٤م جاءت الراهبة إجيريا أو إثيرى (كما ذكرت بعض المراجع) قادمة من أوربا إلى منطقة الجبل المقدس بسيناء عازمة على اتخاذ نفس الطريق الذى سلكه بنى إسرائيل فى رحلة الخروج من مصر إلى فلسطين عبر سيناء ، وتطلق إيثيرى تسمية سيناء على مجموعة من الجبال من بينها جبل الشريعة أو جبل سيناء وهو جبل موسى الحالى ٢٢٤٢م فوق مستوى سطح البحر [٢] ووصفت صعودها إلى جبل موسى فقالت أنها وجدت على قمته كنيسة صغيرة حيث أقيم قداس تلاه توزيع خيرات الله على شكل فواكه من إنتاج منطقة الجبل المقدس ، وبجانب الجبل قمة حوريب التى لجأ إليها النبى إلياس عندما هرب أمام الملك أكاب وشاهدت هناك كنيسة ومغارة سكن فيها النبى إيليا ، ويستدل من كتابات إيثيرى على أن هذه الرحلة كانت شاقة وكثيرة التكاليف لا يقدم عليها إلا الشخصيات الكبيرة ذات النفوذ الواسع والمال الوفير.

---

* أ. عبد الرحيم ريحان بركات ــ مدير منطقة آثار دهب بجنوب سيناء.

(١) نعوم بك شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، دير سانت كاترين ١٩٩٥، ص ٥١٧ : ٥١٨ .

(٢) هناك اختلاف فى تحديد موقع جبل موسى أو جبل الشريعة فالبعض حدده بجبل سربال قرب ودى فيران على أساس أن جبل سربال كان مركز لعبادة قديمة وهو جبل مقدس بين القبائل فى سيناء وكان يسمى جبل الرب قبل تلقى نبى الله موسى عليه السلام الألواح وسمى بنفس الإسم بعد تلقيه الألواح ، وأن حوريب ورافيديم المذكوران فى التوراة على أنهما يقعان فى طريق خروج بنى إسرائيل موقعهما وادى فيران الحالى ، وأن وادى فيران كانت مركزاً لأول استقرار مسيحى بسيناء وبها أبرشية تبركاً بهذه الأماكن المقدسة

أنظر Lepsius (R): Discoveries : Egypt , Ethiopia , And Peninsula Of Sinai In The Years 1842-1845 , London , 1853 , PP. 432 - 370

وجاء بوستوميان وهو من أهالى ناريون بجنوب فرنسا إلى مصر عام ٤٠٠م بعد أن عبر البحر المتوسط فى أربعين يوماً إلى الإسكندرية ثم توجه للقدس عن طريق سيناء وكان معه عدة مرافقين ووصف لنا رحلته [٤].

وجاء القديس أنطونين من إيطاليا إلى الجبل المقدس وذكر أن عدداً هائلاً من النساك جاءوا لمقابلته ينشدون التراتيل وأنه كان لكل دير ثلاثة رؤساء أحدهم يجيد اللاتينية والثانى الإغريقية والثالث القبطية [٤].

طريق الحج

يوجد طريقان مشهوران للحج المسيحى بسيناء طريق شرقى وطريق غربى :

الطريق الشرقى هو للحجاج القادمون من إيلياكابيتولينا (القدس) إلى جبل سيناء ويبدأ من إيلياكابيتولينا إلى أيلة (العقبة حالياً) إلى النقب ثم وادى الحسى إلى وادى وتير الذى تتوفر فيه المياه من بئر الحسى وبئر صويرا ويجاور وادى وتير أيضاً عين فرتاقة وبها جدول صغير يفيض بالماء طوال العام ، ثم يسير الطريق فى وادى غزالة إلى عين حضرة ثم وادى حجاج وبه تلال من حجر رملى بها نقوش نبطية ويونانية وأرمينية ، ثم يسير إلى سفح جبل جونة إلى وادى مارة ثم يدخل سفح جبل سيناء وطول هذا الطريق حوالى ٢٠٠كم من أيلة إلى الجبل المقدس [٥].

وقد قام ميخائيل ستون بأعمال مسح أثرى ودراسة لنقوش وادى حجاج بهذا الطريق حين زيارته لسيناء عام ١٩٧٩ وقد وجد بهذا الوادى نقوش أرمينية عددها ٥٥ نقش أرّخها بين القرن السابع إلى العاشر الميلادى منها نقش لأحد الحجاج يقول (أنا ذاهب حول موسى) يعنى جبل موسى وآخر يقول (أنا رأيت القدس) ووجود مثل هذا العدد من النقوش الأرمينية فى طريق الحج الشرقى سيناء وعدم وجودها فى الطريق الغربى يدل على كم الحجاج الأرمن القادمون إلى جبل سيناء من إيلياكابيتولينا [٦].

أما الطريق الغربى فيبدأ من إيلياكابيتولينا عبر شمال سيناء وشرق خليج السويس إلى جبل سيناء ويبدأ من إيلياكابيتولينا، عسقلان، غزة ، رافيا (رفح)، رينو كورورا (العريش)) ، أوستراسينى (الفلوسيات)، كاسيوم (القلس)، بيلوزيوم (الفرما)، سرابيوم (الإسماعيلية)، القلزم (السويس)، عيون موسى، وادى غرندل وادى المغارة، وادى المكتب، وادى فيران إلى جبل سيناء، وطول هذا الطريق من إيلياكابيتولينا إلى القلزم ٢٤٥كم ومن القلزم حتى جبل سيناء ١٣٠كم فيكون الطريق من إيلياكابيتولينا إلى جبل

---

(٣) إبراهيم أمين غالى : سيناء المصرية عبر التاريخ ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٢٩ : ١٣٠ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٣١ .

(5) Mayerson (P.) : The pilgrim Routes To Mount Sinai And The Armenians , Israel Exploration Journal 32 , 1982 , P. 56 .

(6) Ibid ., PP. 44 - 45 .

سيناء ٣٧٥كم وبنهاية القرن الرابع الميلادى أصبح الجزء الشمالى من هذا الطريق طريقاً حربياً وتجارياً أكثر منه طريقاً للحج [٧].

وبنهاية القرن الخامس والسادس الميلادى أصبحت بأيلة (التى تقع على الطريق الشرقى) كتيبة عسكرية للرومان، أما الطريق الغربى من بيلوزيوم حتى جبل سيناء فلم يكن هناك أى نقاط عسكرية عليه باستثناء وادى فيران، لأن هذا الطريق لم يكن طريقاً عمومياً للجنود وكان هذا الطريق آمناً [٨] وعند زيارة إجيريا فى القرن الرابع الميلادى لم تشاهد جنوداً إلا فى القلزم ووصلت بأمان إلى جبل سيناء بل كان عرب سيناء يقومون كأدلة لهؤلاء الحجاج لمعرفتهم بالطريق جيداً، وكان يصاحب الحجاج أحياناً جنود أو أشخاص مسلحين فى المناطق الغير مسكونة.

والطريق من رينوكورورا إلى بيلوزيوم عبارة عن منطقة رملية ومن بيلوزيوم إلى القلزم مستنقعات ملحية ويمكن سيره بالجمال ، والطريق من القلزم إلى وادى غرندل ماراً بعيون موسى جاف جداً [٩] وهذا يذكرنا برحلة خروج بنى إسرائيل وتفجر المياه فى هذا المكان الجاف جداً (منطقة عيون موسى الحالية ٣٥كم من السويس) وذلك بعد رحلة عذاب شاقة فى منطقة قاحلة جداً وذلك حتى يؤمنوا بالمعجزة إيماناً كاملاً (وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) البقرة ٦٠ ، أما منطقة المغارة ، وادى المكتب (سمى كذلك لكثرة الكتابات به) ، وادى فيران ، فتتوفر فيهم مصادر المياه الصالحة للشرب .

إدّعاءات يهودية عن هذا الطريق

منذ عام ١٩٦٧ زار منطقة وادى حجاج عدة علماء يهود قاموا بتصوير أكثر من ٤٠٠ نقش بوادى حجاج منها نقوش نبطية ، يونانية ، لاتينية، أرمينية، قبطية، آرامية.

ورغم ذلك يذكر عالم الآثار اليهودى أفينير نجف أن هذا الطريق كان للحجاج اليهود [١٠] ، وحاول اليهود ترسيخ هذا المفهوم إبان احتلالهم لسيناء فقاموا بحفر بعض الرموز اليهودية بهضبة حجاج التى تقع على هذا الطريق تمثل المينوراة [١١] وذلك

---

(7) Ibid ., PP. 50 - 52 .

(8) Ibid ., PP. 50 - 52

(9) Ibid ., PP. 53 - 54

(10) Negev (A.) : The Inscriptions Of Wadi Haggag - Sinai , Qedem 6 , Jerusalem , 1977 , PP. 1 . 2.

(١١) المينوراة كلمة عبرية تعنى الشمعدان ، أصلها الشمعدان الذهبى ذو الفروع السبعة الذى كان قائما فى خيمة الإجتماع وتأخذ المينوراة شكل شجرة يخرج منها سبعة فروع حيث نجد قائماً فى الوسط حوله من كلا الجانبين سبعة فروع ، وقد جاء فى سفر ذكريا (٤:٢-٣، ١١-١٢) تفسير لشعلاتها السبعة بأنها أعين الرب الحامية فى الأرض ، كما تفسّر أحيانا بأنها ترمز لأيام الخلق الستة ويوم السبت ، ويفسّر يوسيفوس شعلات المينوراة بأنها ترمز إلى الكواكب السبعة . أنظر :

لإثبات أحقيتهم وحدهم بهذا الطريق كطريق لخروج بنى إسرائيل وبالتالى فهو طريق للحج اليهودى لأغراض استيطانية ليس إلا ولا علاقة لها بالدين أو التاريخ أو الآثار مع اعتبار هذا تشويه لنقوش أثرية قديمة بعمل هذه الرموز الحديثة مجاورة للنقوش الأثرية.

ورغم عدم وجود أى أدلة أثرية فمن غير المستبعد أن تكون هضبة حجاج وعين حضرة وجبل سيناء كانت فى طريق خروج بنى إسرائيل لأنه الطريق الطبيعى من جبل سيناء بعد تلقى نبى الله موسى عليه السلام ألواح الشريعة فى جبل سيناء (الجبل المقدس) إلى الأرض المقدسة والتى رفض بنى إسرائيل دخولها فقدّر الله عليهم التيه أربعين عاماً بسيناء.

ولكن لا علاقة بين استخدام هذا الطريق كطريق لخروج بنى إسرائيل وبين استخدام اليهود لهذا الطريق كطريق حج لليهود لعدم وجود أدلة تاريخية أو أثرية تثبت حتى عودة اليهود لسيناء بعد خروجهم منها فى أى فترة من فترات التاريخ قبل عام ١٩٦٧ (١٢).

محاسن محمد الوقاد ، اليهود فى مصر المملوكية فى ضوء وثائق الجنيزة (٦٤٨-٩٢٣هجرية /١٢٥٠-١٥١٧م) ، سلسلة كتب تاريخ المصريين ١٣٥، القاهرة ، ١٩٩٨، ص ٣٨٤ : ٣٨٥ .

(١٢) على الرغم من خروج بنى إسرائيل من مصر إلا أن هذا لم يكن ذى تأثير مستمر فى كراهية المصريين لشعب بنى إسرائيل حيث فتحوا أذرعهم بعد حين إلى شراذم من اليهود طلبت الإيواء بأرض مصر وانتشرت هذه الشراذم فى طول البلاد وعرضها من الوجه البحرى إلى جزيرة الفنتين بأسوان ، وسمح لهم المصريون بمزاولة نشاطهم الدينى دون مضايقة وهناك أكثر من مثال على تسامح المصريين ، فحين قام (انتيوخوس يوباتور) ملك سوريا باضطهاد اليهود وطردهم من فلسطين لجأ كبير اليهود (أونياس الرابع) إلى بطليموس السادس (فيلومتور) طلباً للأمان له ولقومه فى أرض مصر والذى سمح لهم باجتياز الحدود المصرية عام ١٦٠ق.م. كما سمح لهم بأن يتخذوا من مدينة (بر رع حر محيت أون) تل اليهودية مركز شبين القناطر ، مستقراً لهم . أنظر

إبراهيم محمد كامل : إقليم شرق الدلتا فى عصوره التاريخية القديمة ج ٢، مراجعة محمد عبد القادر محمد ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٤٢٩ .

كما استوطن اليهود بالإسكندرية منذ القرن الثالث ق.م. حيث يتفق المؤرخون على أنه فى عهد بطليموس لاجوس وبطليموس فيلادلفوس وريثا الإسكندر الأكبر اذدهرت فى الإسكندرية طائفة يهودية ومن أحد الأعمال الكبرى لهذه الطائفة ترجمة العهد القديم إلى اليونانية والمعروفة باسم الترجمة السبعينية وبعد الفتح الإسلامى أصبح بالإسكندرية عشرات الآلاف من اليهود . أنظر

يورام ميطال ، الآثار اليهودية فى مصر ، ترجمة الضوى يونس ، عمرو ذكريا ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٢٠٧ .

منذ الفتح الإسلامى لمصر (٢١هجرية ، ٦٤٢م) أقر المسلمون مبدأ حرية العقيدة لذلك كان لليهود منزلة قانونية تماثل منزلة النصارى بمصر وفى العصر الطولونى (٢٥٤-٢٩٢هجرية ، ٨٦٨-٩٠٥م) وفد لمصر أعداد كبيرة من يهود فارس الذين كانوا يعملون بالتجارة وجاء يهود من العراق وإيران وبلاد ما وراء النهر . أنظر محاسن محمد الوقاد : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

ويذكر أفينير نجف نفسه أنه لا يوجد تقاليد دقيقة عن رحلة الخروج لأنه لا يوجد نقوش يهودية ولا رموز وإنما اتخذ اليهود الحج للأماكن المقدسة تقليداً للمسيحيين [١٣]. وأعتقد أن اليهود لم يستخدموا هذا الطريق كطريقاً للحج اليهودى فى أى فترة تقليداً للمسيحيين أو غيرهم فمن الثابت أثرياً ومن خلال الدراسات التى قام بها معهد الآثار بالجامعة العبرية عن نقوش وادى حجاج والتى نشرها عام ١٩٧٧ أن العرب الأنباط هم أول من استخدم هذا الطريق كطريق تجارى وطريقاً للحج للأماكن المقدسة بجبل سربال وجبل موسى ثم استخدمه الحجاج المسيحيون بعد ذلك فقد وجدت نقوش نبطية ويونانية على طول هذا الطريق ثم استخدمه الحجاج المسلمون فى طريقهم إلى مكة المكرمة حيث وجدت نقوش عربية على هذا الطريق وكتابات للحجاج المسلمون بتجويف محراب المسجد الفاطمى داخل دير القديسة كاترين الذى بناه الخليفة الآمر بأحكام الله عام (٥٠٠هجرية ، ١١٠٦م) ، فلقد كشف أفينير نجف عدة نقوش نبطية بهذا الطريق من خليج العقبة لجبل موسى ماراً بوادى وتير قرب نويبع ثم وادى غزالة ، وادى حدرة ، وادى سعال إلى وادى الشيخ ثم جبل موسى كما عثر على أوانى فخارية مرسومة للأنباط [١٤] كما كشف نقوش يونانية بوادى حجاج تتضمن أسماء

وخلال القرنين ١٤، ١٥ م تحولت مصر بما فيها القاهرة لمراكز جذب للمهاجرين من معظم دول البحر المتوسط ولقد كتب بن خلدون عن ذلك قائلاً (إن الكثيرين من فقراء المغرب يريدون الإنتقال لمصر للتخلص من براثن الفقر لأن فى مصر رفاهية أكثر من باقى الدول ولقد فر الحاخام يوسف بن ميمون (رامبام) أشهر يهود الفسطاط من أسبانيا أرض مولده إلى المغرب ومنها للفسطاط عام ١١٦٥م .

أنظر يورام ميطال : المرجع نفسه ، ص ٣٣ : ٢٨ .

وفى نهاية القرن ١٥م حدثت موجة هجرة كبيرة ليهود جزيرة أيبريا الذين طردوا من أسبانيا والبرتغال وتوجه بعضهم إلى فلسطين لكن للظروف الصعبة فى ذلك الوقت فضلوا الإستقرار فى مصر ، ومنذ دخول العثمانيون مصر ١٥١٧م وعلى مدى ٤٠٠ عام تمتع اليهود بمكانة كبيرة يحميها القانون مثل مكانة سائر الطوائف اليهودية فى أنحاء الإمبراطورية العثمانية . أنظر المرجع نفسه ، ص ٥٩ : ٥٨ .

ويصف أحد الزوار الأجانب لمصر عام ١٨٣٣- ١٨٣٥م إدوار وليام لين حارة اليهود بمصر بأن بها ثمانية معابد وأن اليهود يتمتعون فى هذا المكان بالتسامح الدينى مقارنة بباقى مناطق الإمبراطورية العثمانية . أنظر المرجع نفسه ، ص ٦٤ : ٦٥ .

وكانت هناك جاليات يهودية باماكن عديدة بمصر منه الفسطاط ، الموسكى ، العباسية ، البساتين ، المعادى ، حلوان ، دمنهور ، أما فى سيناء فلم تسكن أى جاليات يهودية قبل عام ١٩٦٧، فقط حين عدوان ١٩٥٦ قامت ٦ بعثات آثار إسرائيلية بمسح أثرى سريع لمدة إسبوعين لعدة أماكن بسيناء وكان يرأس هذه البعثات Prof. Aharoni

Aharoni (Y.): Results Of The Archaeological Investigations , Antiquity and survival 11, (1957) , N. 2-3 .

(13) Negev (A.) : Op Cit., P. 79.

(14) - Ibid ., P. 1-2 .

يسبقها لفظ جندى وهم الجنود الذين كانوا يقومون بحراسة وفد الحجاج المسيحيون إلى جبل كاترين .

ويذكر أفينير نجف أن الحج المسيحى بسيناء ارتبط بإنشاء دير طور سيناء (دير سانت كاترين) فى القرن السادس الميلادى ثم يعود ليناقض نفسه ذاكراً أن دير طور سيناء زاد من أهمية طريق الحج المسيحى [١٥]

أى أن الحج المسيحى ارتبط بجبل سيناء قبل إنشاء الدير وهذا هو الراى الراجح لأن إنشاء الدير نفسه ومن قبله إنشاء كنيسة العذراء مريم عند موقع الشجرة المقدسة وبرج دفاعى فى القرن الرابع الميلادى بواسطة الإمبراطورة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين[١٦] ارتبط بالأماكن المقدسة الخاصة بطريق خروج بنى إسرائيل .

إذاً فالعلاقة واضحة بين ارتباط المنشئات المسيحية الدينية بسيناء بالأماكن المقدسة الخاصة بطريق الخروج وبين استخدامهم لهذا الطريق كطريق للحج المسيحى .

ويذكر أفينير أن المسيحيون عندما بدأوا فى رحلات الحج لديركاترين قاموا بإزالة كثير من النقوش النبطية وأرى أن هذا افتراء ليس له أ ى سند أثرى ومن خلال المسح الأثرى والملاحظة الدقيقة لنقوش هذا الطريق لاحظت وجود النقوش النبطية جنباً إلى جنب مع النقوش اليونانية وأحياناً النقشين على نفس الحجر دون وجود أى علامات تدل على إزالة لهذه النقوش .

ميناء الطور المملوكى وطريق الحج

استخدم ميناء الطور فى العصر المملوكى [١٧] طريقاً للحج المسيحى منذ القرن الرابع عشر الميلادى وكانت السفن تبحر من موانئ إيطاليا جنوة أو البندقية (فينيسيا) إلى

---

(15) Ibid .,PP. 79 -75.

(16) Grossmann (P.): The Architecture , In - Treassures Of Monastery Of St.Catherine , Athens , 1990 , P. 29.

(١٧) كانت تجارة الهند والصين تصل إلى ميناء عدن وجدة محملة بالتوابل والعطور والعقاقير والأحجار الكريمة والعنبر والمسك ومن جدة إلى السويس ثم تحمل على ظهور الجمال عبر الصحراء إلى النيل ثم إلى الإسكندرية ، كما كان هناك طريق للسلع الواردة من أوربا إلى الإسكندرية ومنها لبولاق عن طريق نهر النيل ثم إلى قوص ثم شرقاً لعيذاب لتأخذ طريقها فى البحر الأحمر ، وفى مطلع القرن السادس عشر الميلادى أصبح ميناء السويس هو ميناء مصر الحربى على البحر الأحمر وبنيت به ترسانات السفن الحربية والتجارية .

ولما صارت السويس مرفأ مصر الحربى على البحر الأحمر استقر رأى المماليك (٦٤٨-٩٢٢ هجرية ، ١٢٥٠-١٥١٦م)على أن يكون ميناء الطور بديلاً لميناء السويس فى استقبال تجارة الشرق والغرب ، ولم يكن ميناء الطور جديداً يوم تقرر جعله ميناء مصر التجارى على البحر الأحمر بل كان كثير من التجار يطرقون هذا الميناء متجنبين موانئ الساحل الغربى للبحر الأحمر بسبب الشعاب المرجانية والصخور التى تتحطم عليها السفن ، وقد استغل ميناء الطور على نطاق واسع لخدمة التجارة بين الشرق والغرب فى العصر المملوكى وكان به مخازن ضخمة وجمرك خاص بواردات الهند وأتبع به نفس النظام الذى كان لميناء السويس حيث أن سفن الهند لا تصله وإنما تفرغ حمولتها

الإسكندرية ثم تتوجه بالنيل إلى بابليون وبعد أن يحصلوا على عهد الأمان أو الفرمان من سلطان المماليك يقيم الحجاج فترة فى استراحة للحجاج بالقاهرة حيث يتم إعطاء أطعمة للحجاج الفقراء المتوجهين إلى سانت كاترين [١٨] ويعود الحجاج المسيحيون إلى أوربا عن طريق الإسكندرية على سفن البندقية التى تنتظر التجارة المصدرة إلى الإسكندرية من الشرق .

وكان الحجاج المسيحيون القادمون من أوربا يهتموا بمواعيد وصول سفن التجارة إلى ميناء الطور وذلك لأن ميناء البندقية كان يضبط مواقيت سفنه التجارية للإسكندرية مع مواعيد سفن التجارة للطور مع حساب فرق التوقيت والتوزيع من الإسكندرية للقاهرة ثم بالقوافل للطور والعكس ، ووثائق البندقية آواخر العصور الوسطى تحدد الفترة من ٨ إلى ٢٣ سبتمبر من كل عام موعداً لرحيل سفنها للإسكندرية وتكون على استعداد للعودة محملة بالتوابل فى منتصف أكتوبر أو بداية نوفمبر قبل حلول الشتاء ، كما أن لها رحلة أخرى فى مارس لتصل للإسكندرية وتغادرها فى أبريل [١٩] .

الآثار المسيحية المكتشفة بطور سيناء وعلاقتها بالحج المسيحى
مجتمع الرهبنة برايثو (الطور)

ذكر معظم المؤرخين أن الطور كانت تعرف قديماً برايثو دون تحديد مكان بعينه لرايثو ، ويذكر Hershkovitz أن رايثو القديمة هى الآن بير أبو صويرة على شاطئ خليج السويس [٢٠] وذكر الراهب المصرى أمونيوس فى روايته عن قتل الرهبان برايثو (والتى تم دحضها فى بحث خاص) أن رايثو تقع على ساحل خليج السويس مباشرة وهذا غير منطقى تماماً وذلك لعدة أسباب

١ – يفضل الرهبان العزلة والأماكن الداخلية خصوصاً فى هذا الوقت الذى يتحدث عنه أمونيوس فى القرن الرابع الميلادى حيث كان الاضطهاد الرومانى على أشده فمن المنطقى أن تتركز المجتمعات الرهبانية بعيداً عن الساحل .

٢ – أثبتت الحفائر التى قامت بها منطقة جنوب سيناء للآثار الإسلامية والقبطية أن المجتمعات الرهبانية تتركز فى المناطق الداخلية متمثلة فى المنطقة التى أكتشف فيها

فى عدن ومن النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى كانت السفن تفرغ حمولتها فى جدة ثم تنقل السلع للطور بالقوارب ومنها بالقوافل للقاهرة ، وتصل سفن اتجارة الهندية إلى جدة مرتين فى العام وفى كل مرة ينشط العمل فى ميناء الطور .

أنظر نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب آواخر العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ١٣٤:١٣٥ .

(18) - Eckenstein (L.) : A History Of Sinai , London , 1921, P. 156 .

(١٩) نعيم زكى فهمى : المرجع السابق ، ص ١٣.

(20) Hershkovitz (I.) : The Tell Mahrad Population in Southern Sinai In The Byzantine Era , Israel Exploration Journal 38,1988 , P. 47 .

دير الوادى بقرية الوادى ٦كم شمال الطورومنطقة وادى الأعوج التى تبعد ٥كم عن دير الوادى .

٣ - المنطقة الساحلية التى تسمى الآن رأس راية ، جاءت تسميتها نسبة لأحد شيوخ البدو وهو الشيخ راية وله مقام بها ولا علاقة لها باسم رايثو ، ونجد كثير من أسماء الأماكن بسيناء ارتبط بمقبرة لأحد شيوخ البدو مثل منطقة الشيخ محسن قرب كاترين ، بل أن تسمية أشهر الأودية بسيناء بوادى الشيخ نسبة إلى الشيخ صالح المدفون على جانبه الأيمن ، وله مقام معروف خطأ باسم مقام النبى صالح يبعد ٧كم عن دير كاترين .

٤ - منطقة رأس راية الحالية لا تتوفر فيها مصادر المياه الصالحة للشرب واللازمة لإنشاء مجتمع رهبانى فى هذه المنطقة فى حين أن منطقة الوادى ووادى الأعوج تتميز بوفرة من المياه الصالحة للشرب الضرورية لحياة الرهبان فى هذه المنطقة .

٥ - لم تكشف الحفائر بمنطقة رأس راية الحالية على ساحل خليج السويس منذ عام ١٩٩٧ وحتى ٢٠٠٤ فى مواسم حفائر متتالية عن أية آثار مسيحية بل تم كشف قلعة إسلامية داخلها مسجد ومنقولات تعود معظمها للعصر الفاطمى ، إذاً فإن منطقة رايثو القديمة هى المنطقة التى تجمع فيها الرهبان منذ القرن الثالث الميلادى وكشفت الحفائر بها عن دير وآثار مسيحية تمثل مراحل الرهبنة الثلاثة المعروفة وتشمل منطقة وادى الحمام (قرية الوادى الحالية ٦كم شمال مدينة الطور) والتى كشفنا بها دير الوادى ، ومنطقة وادى الأعوج (٥كم شمال شرق دير الوادى) ومنطقة جبل الحمام (شمال غرب دير الوادى) .

أما بالنسبة لرأى Hershkovitz أن رايثو القديمة هى الآن منطقة أبو صويرة ، فإن أبو صويرة لم يكشف بها إلا عن قلاية مسيحية كانت لأحد المنقطعين الذين لجئوا للمنطقة منذ القرن الثالث الميلادى ومنهم المنقطع موسى الذى كان له علم بالطب وشخّص العديد من الأمراض فتحول كثير من بدو هذه المناطق للمسيحية [٢١] وذلك قبل أن يزداد عدد الرهبان مما أدى لتكوين مجتمعات رهبانية أصبحت لهم مدينة كاملة وهى مدينة رايثو ، ويذكر إبراهيم أمين غالى أن من بين الأماكن التى لجأ إليها النساك وادى الحمام شمال مدينة الطور وهى منطقة رايثو القديم [٢٢] .

---

(٢١) متولى نور : سيناء أرض مباركة ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٤٠ .

(٢٢) إبراهيم أمين غالى : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

23) Stavropoulos (D. N.).; Greek – English Dictionary , Oxford ,1988 ,P. 494

وتجسدت بمدينة رايثو مراحل الرهبنة الثلاثة:

١ – المرحلة الأولى وهى مرحلة الفرد المنقطع للعبادة ANCHORITE وباليونانية ANAXWPHTHΣأناخوريتيس [٢٣] وهو الراهب الذى يتخذ صومعة خاصة به يغلق عليه باب إما بمفتاح أو بواسطة حجر وكانت الصوامع قريبة من بعضها ومن يدخل على المنقطع يعلن قدومه بالنقر على الباب عدة مرات [٢٤] ووجدت بالطور بمنطقة وادى الأعوج حيث كشفت منطقة جنوب سيناء للآثار الإسلامية والقبطية فى حفائر موسم أبريل – يونيو ١٩٩٨ [٢٥] وموسم يناير – فبراير ٢٠٠٢ [٢٦] عن صوامع منفردة للمتوحدين الأوائل قريبة من بعضها البعض .

٢ – المرحلة الثانية أيضاً بوادى الأعوج ، وهى مرحلة الكينوبيون وهو التوحد الجماعى وهو الشكل الذى يسمى CENOBITE من اليونانية KOIVOBION كينوفيون وتتكون من مقطعين KOIVOΣ كينوس وتعنى عام ، BIOΣفيوس وتعنى حياة أى حياة عامة [٢٧] حيث يقيم النساك فى منشئات فردية ثم يجتمعوا أيام الأعياد ويومى السبت والأحد فى مكان عام للخدمات والطعام ، وكشف الحفائر السابق ذكرها موسم ١٩٩٨ ، ٢٠٠٢ عن أحد هذه الأماكن العامة بوادى الأعوج وهو عبارة عن مبنى مستطيل بالطوب اللبن مغطى بالملاط من الداخل والخارج بقاياه واضحة مساحته ١٤,٥م طولاً ١١,٥ م عرضايشمل كنيسة من رواق واحد مساحتها ١١,٥ طولاً ٤,٣عرضاً على جانبيها قاعتان مستطيلتان مساحة القاعة ٦,٣٠ طولاً ٢,٣٠ م عرضاً بها مصاطب للجلوس يبدو أنها قاعات طعام ، وبالمبنى حجرات مختلفة للخدمات .

٣ – المرحلة الثالثة هى نظام الدير الكامل المتمثل فى دير الوادى .

وعن وادى الأعوج يذكر نعوم شقير (سمى كذلك لكثرة تعرجه وفيه آثار مدينة متسعة فخمة البناء من عهد البيزنطيين وأهم تلك الآثار كنيسة وقلعة وآبار وجبانة كروم وبها ١١ بئر مربعة الجوانب ومطوية بالحجر المنحوت ولكل بئر عند فمه عريشة وقناة ينقل الماء فيها إلى أحواض أو أراضى زراعية بجانبها مما يدل على أنهم كانوا يرفعون الماء من الآبار بما يشبه الساقية المصرية)[٢٨].

---

(٢٤) (حجاجى إبراهيم محمد : مقدمة فى العمارة القبطية الدفاعية ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٤٢ .

(٢٥) اشترك فى الحفائر مفتشى الآثار محمد فهمى – محمد عمران – غريب حسين على – محمد حلمى محمد تحت إشراف عبد الحفيظ دياب مدير عام جنوب سيناء .

(٢٦) اشترك فى الحفائر مفتشى الآثار محمد فهمى – محمد عمران – أشرف جلال تحت إشراف عبد الحفيظ دياب مدير عام جنوب سيناء .

(27)) Stavropoulos (D.N.): Op.Cit.,P. 457

(٢٨) نعوم شقير : المرجع السابق ، ص ٨٧ : ٨٨ .

وارتبطت الأماكن المسيحية بمدينة رايثو ومنطقة أبو صويرة كمزارات للحجاج المسيحيين القادمين إلى الطور ومنها إلى جبل سيناء ، وترك هؤلاء الحجاج نقوشاً عديدة باللغة العربية على جبل الناقوس الذى يقع على بعد ٨كم شمال غرب دير الوادى ، وهو جبل صغير شديد الانحدار ، سمى بهذا الاسم لظاهرة طبيعية فيه هى أنه كلما انهالت الرمال على سفحه أحدث صوتاً كصوت الناقوس [٢٩] و يتراوح ارتفاع الجبل بين ٧٥ إلى ١٠٠م فوق مستوى سطح البحر ، وهو جبل من الصخور الرملية الرسوبية والتى يسهل النقش فيها باستخدام أية آلة حادة أو حجر صلب ، وقد استغل الحجاج المسيحيون جبل الناقوس ذو المستويات التى تشبه المدرجات كمكان للراحة والتزود بالطعام وأثناء ذلك نقشوا ذكرياتهم وأسمائهم وأدعيتهم وبعض من أسفارهم على أجزاء متفرقة من هذا الجبل على مدى الأجيال المتعاقبة .

ولقد قامت بعثة آثار مركز دراسات الشرق الأوسط اليابانى برئاسة مؤتسو كاواتوكو موسم فبراير ٢٠٠١ بأعمال مسح أثرى لجبل الناقوس [٣٠] كشفت عن حوالى ٥٠٠ نقش منها كتابات عربية بتوقيعات لأشخاص مسيحيين حضروا لهذا المكان وسجلوا أسماءهم وتاريخ حضورهم ، ويرجع بعض هذه النقوش إلى القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادى ، كما وجدت رسوم صلبان وبعض الأسماء لعائلات مسيحية تقطن بالطور يشغل بعضهم مناصب مرموقة بالطور كوكلاء لدير القديسة كاترين بالطور ، ومن هذه العائلات عائلة عنصرة ، براميلى، بولس ، غرغورى ، ديمترى . كما وجدت بالجبل نقوش يونانية ونقوش للأنباط ونقوش عربية بالخط الكوفى تعود لفترات مختلفة من القرن الأول إلى الرابع الهجرى تمثل أدعية وآيات قرآنية ، حيث كان يمر بهذا الجبل التجار الأنباط ثم الحجاج المسيحيون ومن بعدهم الحجاج المسلمون [٣١] .

دير وادى الطور

تبعد مدينة الطور ٤٠٠كم عن القاهرة ويقع دير الوادى بقرية الوادى التى تبعد ٦كم شمال الطور ويقع الدير على بعد ٢٠٠م شرق بئر يحيى ذو المياه العذبة، ٣كم شرق حمام موسى ذو المياه الكبريتية الدافئة وذكر دير الطور فى رسالة بعث بها البابا يوحنا رئيس دير الطور إلى مطران دير جبل سيناء يوحنا الثانى عام ١١٦٤م باللغة العربية ، ولقد عرف من هذه الرسالة أنه كان يوجد بالطور مجموعة من صوامع الرهبان ، وقد طلب رئس دير الطور من رئيس دير جبل سيناء أن يكتب إلى الرهبان الذين

---

(٢٩) لوسى يعقوب : العودة إلى سيناء ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٣١ .

(٣٠) أشرف على أعمال البعثة مفتشى الآثار محمود محمد محمد إدريس – محمد حلمى محمد عام ٢٠٠١.

(٣١) تقرير عن أعمال المسح الأثرى لجبل الناقوس ، إعداد محمود محمد محمد إدريس – محمد حلمى محمد .

يقيمون فى صوامع الطور ناصحاً ومرشداً ومعلماً ، فكتب المطران يوحنا الثانى عمله الفريد (سلم الطريق إلى السماء) والذى ترجم إلى عدة لغات ، وبمكتبة دير كاترين الآن حوالى ٤١٦ إلى ٤٣٠ مخطوط من هذا العمل [٣٢] .

ويذكر نعوم شقير أنه اطلع فى الدير على رواية مكتوبة على رق جاء فيها (أن المهندس الذى أنشأ دير القديسة كاترين بنى أولاً كنيسة مار أثناسيوس وديـر راية وكنيسة على رأس جبل المناجاة ثم دير طور سيناء) [٣٣]والمقصود بدير راية هنا هو الدير الموجود بمدينة رايثو وهو دير الوادى.

كما يذكر نعوم شقير فى وصفه لوادى حمام موسى والذى سميت على اسمه قرية الوادى الموجود بها الدير (يقع على نحو ميل من الحمام (يقصد حمام موسى) شمالاً وادى الحمام وهو مشهور هناك بالوادى وفيه نخل كثير لأهل الطور وهناك خرائب دير قديم لم يبق ظاهراً منه سوى قنطرة بالحجر المنحوت وكنيسة صغيرة لا تزال جدرانها قائمة إلى الآن قيل أنها من بناء القرن الرابع أو قبله) [٣٤]

ويذكر مؤتسو كاواتوكو أنه من خلال الدراسة المعمارية للبازيليكا بدير الوادى والدراسة المقارنة ثبت أنها تعود للكنائس البازيليكا المبكرة من القرن الرابع إلى السابع الميلادى ، كما عثر بالدير على منقولات تعود للفترة البيزنطية منها مسارج زيت من الفخار ولمبات زجاجية بيزنطية بسلسلة طويلة فى المنتصف، ولقد عثر على نماذج مشابهة لها بمناطق بالشرق الأوسط تعود للعصر البيزنطى كماعثر على قطع خزف بيزنطية بطبقة تزجيج بنى مصفر من زخارف قوامها شجر النخيل محاط بزخارف هندسية وبهذا فمن الأرجح أن الكنيسة الصغرى بالدير بنيت فى القرن الرابع الميلادى واكتمل بناء الدير بعناصره المعمارية والسور وكنيسة البازيليكا فى عهد جستنيان فى القرن السادس الميلادى [٣٥] ولم ينشأ الإمبراطور جستنيان هذا الدير وكذلك دير طور سيناء (الذى أطلق عليه دير القديسة كاترين فى القرن العاشر الميلادى بعد نقل رفات القديسة كاترين إليه) على أساس دينى صرف ولكنه جزء من خطته الحربية [٣٦]

ويعتبر عصر جستنيان هو عصر البناء الأعظم فى تاريخ الدولة البيزنطية سواء داخل العاصمة أو خارجها وكان يهدف من ذلك

١ - تأمين الحدود الشرقية للإمبراطورية [٣٧]

---

(٣٢) أثاناسيوس باليوراس : دير سيناء المقدس ، دير سانت كاترين ، ١٩٨٦ ، ص ٣٥ .

(٣٣) نعوم شقير : المرجع السابق ، ص ٥٢٣ .

(٣٤) المرجع نفسه ، ص ١٥٢ .

(35) - Kawatoko (M.) : A Port City Site On The Sinai Peninsula AL- TUR The 11 The Expedition In 1994 , The Middle Eastern Culture Center In Japan , 1995 , PP. 53 – 54 .

(36) Mango (C.) : Op.Cit.,1996, P. 75.

(37) Forsyth (G.H.) : The Monastery Of St. Catherine At Mount Sinai – The Church And Fortress Of Justinian , Michigan , 1965, P. 635

٢ – الدفاع عن مصر ضد أخطار الفرس ، لذلك حرص على تحصين مداخل سيناء وبنى عدة نقاط للحراسة على رؤوس التلال الهامة بين العريش ونخل بوسط سيناء [٣٨]
٣ – تأمين طرق المواصلات بين مصر وفلسطين وإعاقة أو تأخير أى هجوم على فلسطين حيث كانت تنقل البضائع من أثيوبيا إلى فلسطين عن طريق سيناء [٣٩]
٤ – العمل على نشر المسيحية [٤٠] .

والدير المكتشف بواسطة منطقة جنوب سيناء فى حفائرها منذ عام ١٩٨٤ وحتى ١٩٩٣ [٤١] مبنى من الحجر الجيرى المشذّب ، تخطيطه مستطيل ٩٢م طولاً ٥٣م عرضاً ، له سور دفاعى عرضه ١,٥٠م ويخترقه ثمانية أبراج مربعة أربعة فى الأركان وإثنين فى كل من الضلعين الشمالى والجنوبى وبه أربع كنائس كنيسة رئيسية على طراز البازيليكا بالجزء الغربى ، وثلاث كنائس فرعية بالجزء الشرقى ومعصرة زيتون ومنطقة خدمات وبه ٩٦ حجرة تقع خلف سور الدير على طابقين بالطابق الأول ٥٩ حجرة وكان بالطابق الثانى ٣٧ حجرة حيث يوجد درج يؤدى لهذه الحجرات وعددها خمسة فى أماكن مختلفة داخل الدير ، وهذه الحجرات بعضها قلالى للرهبان والأخرى حجرات للحجاج الوافدين للدير للإقامة فترة بالدير وزيارة الأماكن المقدسة بالطور قبل التوجه إلى دير سانت كاترين ، ونظراً لوقوع دير وادى الطور فى موقع وسط بين دير كاترين ومصر العليا وفلسطين ، فكان يستضيف الحجاج المسيحيون فى طريقهم إلى جبل سيناء ثم إلى القدس .

استكمال الرحلة إلى الجبل المقدس ودير القديسة كاترين

بعد أن يزور الحجاج الأماكن المسيحية بمنطقة راية حول دير وادى الطور ، والقلالى بأبو صويرة وجبل الناقوس يرحل الحجاج إلى جبل سيناء ودير القديسة كاترين بطريق وادى إسلا وطريق وادى حبران.

أما طريق وادى إسلا فيقع جنوب شرق الطور حيث تخترق القوافل سهل القاع العظيم إلى فم وادى إسلا فتصعد معه إلى مصب وادى الطرفا ثم تصعد بوادى الطرفا إلى رأسه وتنزل معه إلى وادى الرّحبة فتقطعه وتتسلق نقب عمران ثم تنزل منه إلى وادى الرتج (فرع من وادى النصب الشرقى) فتقطعه وتتسلق نقب السباعية ثم تنزل منه إلى

---

(٣٨) أحمد أبو كف : سيناء من أحمس إلى السادات ، ص ٣٥ .

(39) - Tomadakis (N.) : Historical Outline , In -Treasures Of The Monastery Of St .Catherine , Athens , 1990
PP. 12- 13 .

(40) - Galey (J.) : Sinai And The Monastery Of St. Catherine , Cairo , 1985, P. 12 .

(٤١) قامت منطقة جنوب سيناء للآثار الإسلامية والقبطية بأعمال حفائر للكشف عن هذا الدير منذ عام ١٩٨٤ وحتى ١٩٩٣ واشترك فى الحفائر مفتشى الآثار محمد فهمى – أحمد عبد الحميد – أحمد عيسى – عبد الرحيم ريحان – محمد عمران – خالد عليان تحت إشراف عبد الحفيظ دياب مدير عام جنوب سيناء .

وادى السباعية فتنحدر مع السباعية قليلاً ثم تذهب غرباً إلى جبل المناجاة وتنزل منه إلى دير سانت كاترين ومسافة هذا الطريق ثلاثة أيام .

أما طريق وادى حبران فيبدأ من شمال شرق الطور فتخترق القوافل سهل القاع إلى فم وادى حبران فتصعد فيه إلى أعلاه إلى نقب حبران ومنه تنزل إلى وادى أم صلاف ثم تقطع حمادة الشبيحة إلى وادى الشيخ ثم إلى الطرفا ثم الواطية إلى دير كاترين [٤٢] وتتوفر فى وادى حبران المياه بغزارة حيث يوجد ثلاث عيون هى عين الواطية وعين الرّديسات وعين الحشا وبالوادى كثير من النخيل ، أما وادى إسلا فهو أجمل أودية سيناء كلها وتتوفر فيه المياه والحياة النباتية [٤٣] .

وكان يقيم الحجاج المسيحيون القادمون من أوربا لعدة أيام بدير أبو مينا (مارمينا) بمريوط غرب الإسكندرية [٤٤] وكان به عدة حجرات كانت تستخدم مكاتب خاصة لشئون الحجاج مما يدل على كم الحجاج القادمون من أوربا إلى سيناء [٤٥].

وكان الحاج يجهز نفسه روحانياً ويرتدى ثوب الحج ويضع الصليب الأحمر على الثوب ورداء الرأس، ويأخذ نقود كافية ثم يتجه إلى البندقية أو جنوة أو مارسيليا ويأخذ الحاج طريقه بسولة .

---

(٤٢) نعوم شقير : المرجع السابق ، ص ٢٩٥:٢٩٦ .

(٤٣) المرجع نفسه ، ص ٧٤:٧٥ .

(٤٤) ذاعت شهرة القديس المصرى مينا الذى رفض عبادة الإمبراطورية الوثنية فى عهد دقلديانوس ورفض السجود للآلهة وخرج إلى الصحراء متوحداً وقضى زمناً طويلاً ثم قبض عليه وتعرّض للتعذيب ثم قطعت رأسه بالسيف ودفن بالإسكندرية ، ولما انقضى زمن الإضطهاد نقلت رفاته إلى المكان الذى يحمل اسمه الآن بمريوط وذلك على أثر رؤيا ظهرت للبطريرك فى ذلك الوقت بأنه أثناء حمل الجسمان من الإسكندرية توقف الجمل الذى يحمله فى مكان معين ولم يتحرك حتى بعد أن استبدلوا الجمل بأخر لم يتحرك أيضاً لذلك دفنوه فى هذا المكان بمريوط حيث شيد الدير وشاعت شهرة تلك المنطقة فى جميع أنحاء العالم وجاء الحجاج لزيارة قبر القديس لنيل البركة وطلب الإستشفاء ، وكان يوجد بالقرب من قبره بئر يأخذ الحجاج من مائها فى أوانى خاصة كانت تصنع من الفخار فى مصانع بالمنطقة وعليها صورة القديس بارزة ، وكانوا يعتقدون أن تلك المياه تشفى من أمراض العيون ،ولقد قام العالم الألمانى كاوفمان فى عام ١٩٠٧ بأعمال حفائر بالمنطقة وتبعه د. بيتر جروسمان وعثر بين انقاض دير مار مينا على بقايا أوانى فخارية تعرف بقنانى القديس مينا الفخارية من أحجام مختلفة ، و يوجد بالمتحف القبطى بمصر والمنحف البريطانى والمتاحف الأوربية مجموعات عديدة من هذه الأوانى التى كان يحملها الحجاج المسيحيون ممتلئه بالماء عند زيارة القديس مينا وهذه الأوانى لا يمكن أن تقوم واقفة بل يجب حملها بواسطة خيوط تربط بين العنق والأذنيين .

أنظر رؤف حبيب : الموجز التاريخى عن الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١٢١ : ١٢٤ .

(45) - Grossmann (P.): Two Unusual Public Buildings In Abu Mina , Roma , 1995 , P. 180 .

وفى العصر العثمانى كان يتم استقبال الحجاج بواسطة ضباط أتراك ووكلاء مسيحيون لإعطاء التعليمات والاستشارات ويأخذوا طريقهم إلى القدس عن طريق غـزة ، أمـا الراغبين فى الحج إلى جبل سيناء ودير سانت كاترين فلهم الحق فـى الإعفـاء مـن الرسوم وهى ٢٣ دوقة ويجهز الحجاج بالجمال إلى سيناء وللحجاج سواء كانوا مـن الشرق أو الغرب الحرية فى قراءة القداس طبقاً لطقوسهم الخاصة فى كنيسة لاتينيـة خاصة قرب سكن الضيوف بدير سانت كاترين .

ويصعد الحجاج لجبل موسى التى تبلغ عدد درجاته حوالى ثلاثة آلاف درجة حيـث يعبر الحجاج بوابتين من الصخر ، الأولى يجلس فيها القـديس اسـطفانوس ليسـتمع لاعترافات الحجاج ويتسلم شهادات اعترافهم [٤٦] قبل أن يسمح لهـم بالصـعود إلـى البوابة الثانية حتى يصلوا لقمة جبل موسى وعليه كما يعتقد الكهف الذى اختفى فيه نبى الله موسى عليه السلام ونظر إلى الله وهناك آثار قدمه (كما يعتقد) ، ولقد بنى اللاتينين هناك كنيسة تسمى كنيسة موسى خصصت لكبير الملائكة ميخائيل [٤٧] ثم يهبط الحجاج إلى دير كاترين ويأخذوا طريقهم للعليقة الملتهبة عن طريق الرواق المخصص لـذلك وهو الرواق الشمالى بالكنيسة الرئيسية ، وبعد زيارة العليقة يكمـل الحـاج رحلتـه بالتحرك للخلف عن طريق الرواق الجنوبى ، وبذلك يأخذ تحركهم شـكل حـرفU حول ظهر شرقية الكنيسة [٤٨] .

رحلات الحجاج

توافد الحجاج المسيحيون من كل بقاع العالم لزيارة الأماكن المقدسة بسيناء وهم آمنين مطمئنين فى ظل التسامح الإسلامى التى سارت عليه الحكومات الإسلامية فى المنطقة حيال الحجاج المسيحيون [٤٩] وزار سيناء عدد من الحجاج لا يمكن حصرهم وكثيـر منهم كانوا من شخصيات ورتب عالية .

ومن بين هذه الرحلات رحلة أنطونيوس الذى جاء من القاهرة لسيناء ومعـه سـبعة أوربيون عام ١٣٣١م وتوجه للقدس عن طريـق غـزة ، ورحلـة Wilhelm De Baldensel عام ١٣٣٦م من القاهرة لدير كاترين ومن كاترين توجه للقدس[٥٠].

---

(46) Skrobucha (H.) : Sinai , Translated By Hunt (G.) , London : Oxford UNIV., 1966,, PP. 78-80 .

الإعتراف أحد أسرار الكنيسة السبعة وفيه يعترف المؤمن بخطاياه على يدى الكاهن لينال الحل أى الغفران . أنظر

ألفريد . ج . بتلر : الكنائس القبطية القديمة فى مصر ج ٢ ، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٣٠٢ .

(47) Skrobucha (H.) : Op.Cit., P. 80.

(48) Eckenstein (L.) : Op. Cit., P. 157

(٤٩) جوزيف نسيم يوسف : تاريخ العصور الوسطى ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص ١٣٦ .

(50) Kamil Jill : The Monastery Of Saint Catherine In Sinai , Cairo : American UNIV.,1991 , P.33 .

كما زار دير كاترين عدد من الرّحالة الأوربيون أمثال بورخارت الذى جاء من سويسرا مرتين عام ١٨١٦م وعام ١٨٢٢م وشاهد ثمانمائة من الحجاج الأرمن جاءوا من القدس وحجاج روس وخمسمائة حاج من أقباط مصر (٥١) ، وكان كثير من العظماء والملوك والأمراء على اتصال دائم بدير كاترين ويمدونه بالهدايا ومنهم من ملوك فرنسا أمثال شارل السادس ولويس الحادى عشر والرابع عشر ، وإيزابيل ملكة أسبانيا والإمبراطور مكسيمليان الألمانى وقياصرة روسيا ، ولا تزال هداياهم بالدير حتى الآن (٥٢) .

وأثناء زيارة نعوم بك شقير لدير كاترين عام ١٩٠٦م وجد أن هناك رحلات حج مستمرة للروس يزورون الدير رجالاً ونساءاً كل عام ومتوسط عدد الزوار مائتى فرد فى العام ، وتدوم زيارتهم للدير ثمانية أيام يزورون خلالها الجبل المقدس وضواحى الدير وكانوا يأتون عادة بعد زيارتهم للقدس فى عيد الميلاد وعيد الغطاس أو يأتون مباشرة من بلادهم لحضور عيد القديسة كاترينا يوم ٢٥ نوفمبر من كل عام ، إذ يحتفل الرهبان بهذا العيد احتفالاً بالغاً وكان الروس يأتوا لسيناء عن طريق السويس ثم يبحروا إلى ميناء الطور ومن الطور برياً إلى سانت كاترين بعد زيارة الأماكن المقدسة بالطور بجبل الناقوس وحمام موسى ، والبعض كانوا يحضرون من السويس بطريق البر إلى سانت كاترين ومنه إلى مدينة الطور ، وفى مدة إقامتهم بالدير ومراكزه بالسويس أو الطور أو القاهرة يتكفل الدير بنفقتهم وكان بعضهم يقدم نذوراً للدير من نقود وحلى (٥٣).

مسميات المواقع الوارة بالبحث

جبل سربال

جبل سربال العظيم يبلغ ارتفاعه ٢٠٧٠م فوق مستوى سطح البحر ، واسم سربال مأخوذ من سرب بعل وتعنى نخيل الإله بعل إشارة إلى نخيل فيران فى سفحه وأن الناس كانت تقدسه قبل رحلة خروج بنى إسرائيل إلى سيناء وكانوا يحجون إليه ورأى بعض المحققين أنه هو جبل سيناء أو جبل حوريب الذى تلقى عليه نبى الله موسى عليه السلام الشرائع (٥٤) .

رافيا (رفح)

تبعد ٥٠كم شرق العريش وذكرت فى النصوص المصرية القديمة (را-بح) ، وذكرها المؤرخ يوسيوفوس باسم رافيا وأنها أول محطة استراح فيها الإمبراطور الرومانى

---

(51) Eckenstein (L.) : Op. Cit., P. 1

(٥٢) دير سيناء المقدس ، دير سانت كاترين ١٩٨٦ ، ص ١٤٥ .

(٥٣) نعوم شقير : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ : ٢٤٥.

(٥٤) نعوم شقير : المرجع السابق ، ص ٤٨.

تيتوس فى طريقه لمحاصرة القدس سنة ٧٠م [٥٥] ويذكر نعوم شقير (قد طمرت الرمال معظم آثارها ومع ذلك فالقليل الظاهر فوق الأرض من خرائبها يدل على ما كانت عليه قديماً من الثروة والعز) [٥٦].

رينوكورورا (العريش)

أقدم الأسماء المعروفة لها (رينوكورورا) فى العصر الرومانى وقد ذكر الجغرافى استرابون أنها كانت مكاناً ينفى إليه المجرمون بعد جدع أنوفهم ولهذا أصبح إسمها كذلك ومعناه المقطوعى الأنوف [٥٧].

أما العريش فهو الإسم الذى أطلقه عليها العرب والظاهر أن أهلها قديماً كانوا يسكنون فى مظال من القش اليابس كما يفعل أهل البادية اليوم فى الصيف فسميت أماكنهم بالعريش وهذا الإسم لا يزال يطلق هناك على مظال القش إلى الآن [٥٨].

أوستراسينى (الفلوسيات)

توجد فى الطرف الشرقى من بحيرة البردويل ٣كم من شاطئ البحر المتوسط ٣٠كم غرب العريش وتحتل موقعاً استراتيجياً هاماً حيث يلتقى عندها طريق البحر الذى يمر بكاسيوم وبلوزيوم والطريق الحربى الكبير الذى كان يمر بقاطية والقنطرة كما كان يخرج منها طريق آخر يخترق صحراء سيناء من الجزء الشمالى الشرقى إلى جنوبها الغربى وكانت منطقة عامرة فى العصر المسيحى وكان لها أسقف وعندما أراد الإمبراطور جستنيان تحصين مناطق سيناء ضد غزو الفرس كانت أوستراسينى من بين المناطق التى أقيمت فيها الحصون وقد عثر كليدا فى خرائب هذه المدينة على حصن وكنيستين [٥٩].

ويعتبر كليدا Cledat هو أول أثرى قام بأعمال حفائر فى أوستراسينى عام ١٩١٤وكشف عن كنائس بيزنطية وحصن كبير ربما يكون دير بناه الأباطرة لحماية سيناء من هجمات الفرس ، وفى الصالة الرئيسية للبازيليكا المكتشفة عثر كليدا على أقبية مدفون تحتها رجال دين وعدد ٥٠ قطعة أوستراكا يونانية كتب على معظمها أوستراسينى [٦٠].

---

(٥٥) أحمد فخرى : تاريخ شبه جزيرة سيناء ، موسوعة سيناء ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٨٤.

(٥٦) نعوم شقير : المرجع السابق ، ص ١٩٢.

(٥٧) أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٨٣.

(٥٨) نعوم شقير : المرجع السابق ، ص ١٨٥.

(٥٩) أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٨٣:٨٤ .

(60) Oren (E.D.) : A Christian Settlement At Ostrakine , In - Ancient Churches Revealed , Ed . Tsafrir (Y.), Jerusalem , 1993 , PP. 307 - 308 .

ويذكر نعوم شقير أن أهالى المنطقة وجدوا بالفلوسيات كثيراً من النقود النحاسية أو الفلوس وهذا على الأرجح سبب تسميتها بالفلوسيات [٦١] كما أطلق كتاب العرب على الفلوسيات اسم (المخلصة) ومنهم المقدسى الذى ذكر أنها استمرت فى أداء وظيفتها بعد الفتح العربى لمصر وأصبحت تعرف بالمخلصة [٦٢] وكان من الأسباب الرئيسية لظهور مدينة جديدة أصبحت الوريث الشرعى للفلوسيات وهى مدينة المخلصة هو طغيان مياه البحر على المدينة وقلة استعمال الطريق الساحلى [٦٣].

كاسيوس (القلس)

كاسيوس أو كاسيوم القديمة تقع على شاطئ البحر فوق المنحنى الذى تقع على جنوبه بحيرة ابردويل على مسافة ٣٨كم غرب الفلوسيات [٦٤] ، ويذكر الجغرافى ياقوت الحموى (قال المهلبى : الطريق من الفرما إلى غزة على الساحل يمتد من الفرما إلى رأس القلس وهو لسان خارج فى البحر وعنده حصن يسكنه الناس ولهم حدائق وأجنة وماء عذب) [٦٥] وقد وردت القلس فى كتاب وصف مصر باسم رأس كاس [٦٦] وقد ذكر المقدسى القلس باسم دير النصارى (وتأخذ من الفرما إلى دير النصارى ذات الساحل مرحلة ثم إلى المخلصة مرحلة م إلى العريش مرحلة) [٦٧].

ويشير عباس عمار على أن موقع تل القلس فى اللسان الموجود بين بحيرة البردويل والبحر المتوسط بين الفلوسيات والمحمدية ويتوفر فيه المياه والنبات والنخيل وهو موقع متوسط بين الفلوسيات والمحمدية لذلك فهو أفضل موقع يمكن أن يقام فيه حصن ومعبد ولكن غطت الرمال على جزء منه وأغار البحر على جزء آخر [٦٨] .

عين حضرة

ذكرت فى التوراة باسم Hazeroth (العدد ١١:٣٥ ، التثنية ١:١) التى تقع فى طريق خروج بنى إسرائيل وهو المكان الذى كان يستريح عنده الحجاج للتزود بالمياه حيث يقوم البدو المرافقين للحجاج كمرشدين للطريق بملئ المياه من عين حضرة .

---

(٦١) نعوم شقير : المرجع السابق ، ص ٢٠١ .
(٦٢) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ص ٢١٤ .
(٦٣) أبى الفدا : تقويم البلدان ، بيروت ، ص ١٠٨ : ١٠٩.
(٦٤) أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٨٢.
(٦٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، تحقيق د. فريد عبد العزيز الجندى ج ٤ ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ٣٩٤ .
(٦٦) جراتيان لوبير ، مستخلص من دراسة عن بحيرات وصحراوات مصر السفلى ، موسوعة وصف مصر : دراسات عن المدن والأقاليم المصرية ج ٣ ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ١٢٠ .
(٦٧) المقدسى : المرجع السابق ، ص ٢١٤.
(٦٨) عباس مصطفى عمار : المدخل الشرقى لمصر أو (أهمية شبه جزيرة سيناء كطريق للمواصلات ومعبر للهجرات البشرية ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ٣٨ : ٣٩ .

وادى حجاج

هو وادى عريض مسطح محاط بتلال من أحجار رملية [٦٩] به عدة نقوش منها النبطية التى أرّخها أفينير نجف للقرن الثانى والثالث الميلادى ، ونقوش يونانية غير مسيحية أرّخها لبداية القرن الرابع الميلادى ونقوش يونانية مسيحية أرّخها للقرن الخامس الميلادى وما بعده ، وقد قام ميخائيل ستون بأعمال مسح أثرى ودراسة لنقوش وادى حجاج عام ١٩٧٩ وقد وجد به نقوش أرمينية عددها ٥٥ نقش أرّخها بين القرن السابع إلى العاشر الميلادى وكان أول من قام بنشر للنقوش الأرمينية بسيناء Euting عام ١٨٩١ [٧٠] وهى نقوش تذكارية للحجاج الذين مروا بهذه الطرق .

وقد كان الأرمن من مؤسسى الرهبنة بفلسطين وسيناء ومنهم الراهب الأرمنى إفثميوس Euthymius من مؤسسى الرهبنة بفلسطين منذ بداية القرن الخامس الميلادى ، أما صلتهم بدير القديسة كاترين فبدأت مع لجوء منقطع أرمينى يدعى سرجيوس إلى سيناء عام ٥٦٤م ويوجد مخطوطات أرمينية بالدير من أعمال حجاج أرمن [٧١] ومن خلال تأريخ النقوش الأرمينية بوادى حجاج دل على أن الأرمن قد استعملوا وادى حجاج من القرن السابع إلى الثالث عشر الميلادى [٧٢] .

إيلياكابيتولينا (القدس)

اليبوسيون هم بناة القدس الأولون وكانت فى عهدهم تسمى يبوس ثم أطلق عليها الإسم الكنعانى (أورو سالم) أى مدينة السلام ، وأطلق عليها الفراعنة (يابيشى) وتارة إسمها الكنعانى (أورو سالم) ، وفى عهد نبى الله داود ١٠٤٩ق.م أطلق عليها مدينة داود ، وأطلق عليها اليونانيين (يروساليم) وبعد أن احتلها بومبى ٦٣ق.م أصبح إسمها (هيروساليما) ومنها أخذت الأمم الأوربية الإسم (جيروساليم) ، وفى عام ١٣٩م أسماها الإمبراطور أوريانوس (إيلياكابيتولينا) ومعناها بيت الله وظلت تعرف بهذا الإسم حتى أوائل الفتح الإسلامى حيث أطلق عليها القدس. [٧٣]

---

(69) Stone (M.): The Armenian Inscriptions From The Sinai , Cambridge , 1982 , PP. 37-20.
(70) Ibid ., PP.20 - 7 .
(71) - Ibid ., PP. 28 - 32
(72) Ibid ., P. 49.

(٧٣) سيد فرج راشد ، القدس عربية إسلامية ، القاهرة ، ص ٣١: ٣٢ .

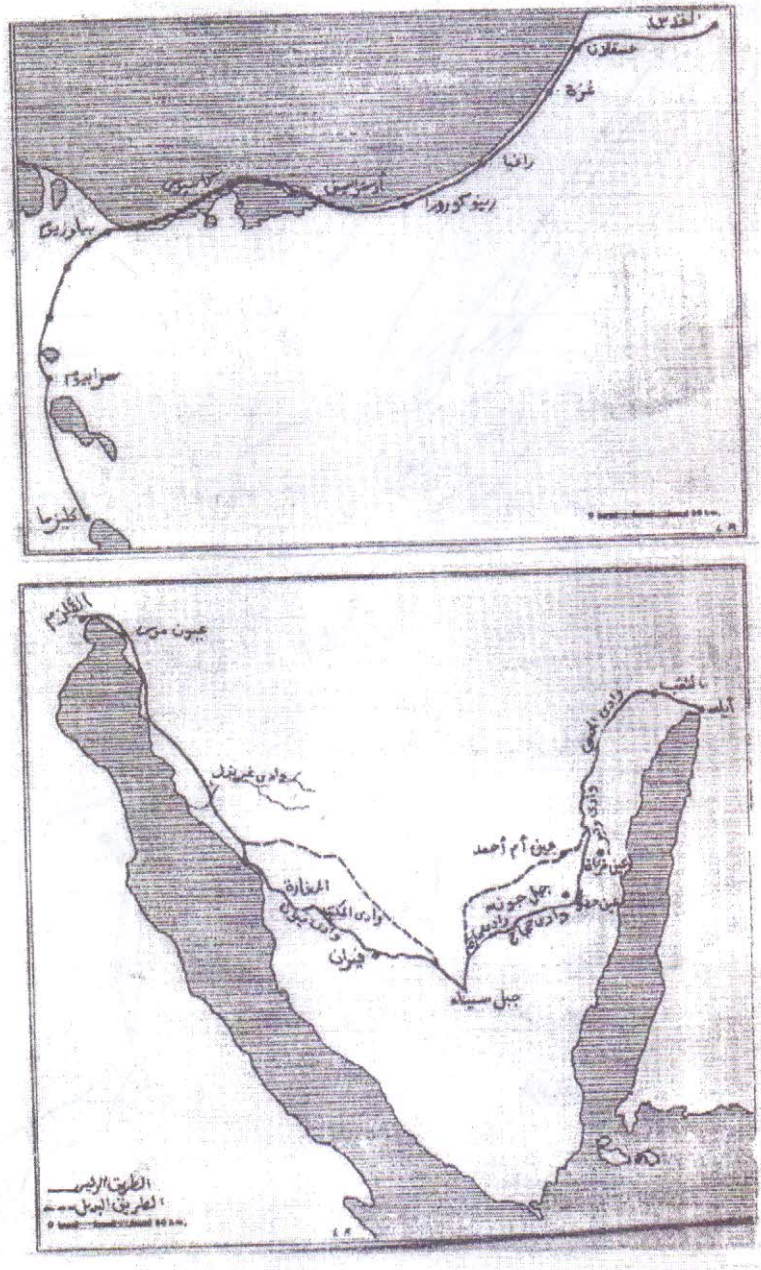

شكل ١ – خريطة لطريق الحج المسيحي بسيناء نقلاً عن

- Mayerson (P.) : The pilgrim Routes To Mount Sinai And The Armenians , Israel Exploration Journal 32 , 1982 Fig.3-4, pp.51-55 .

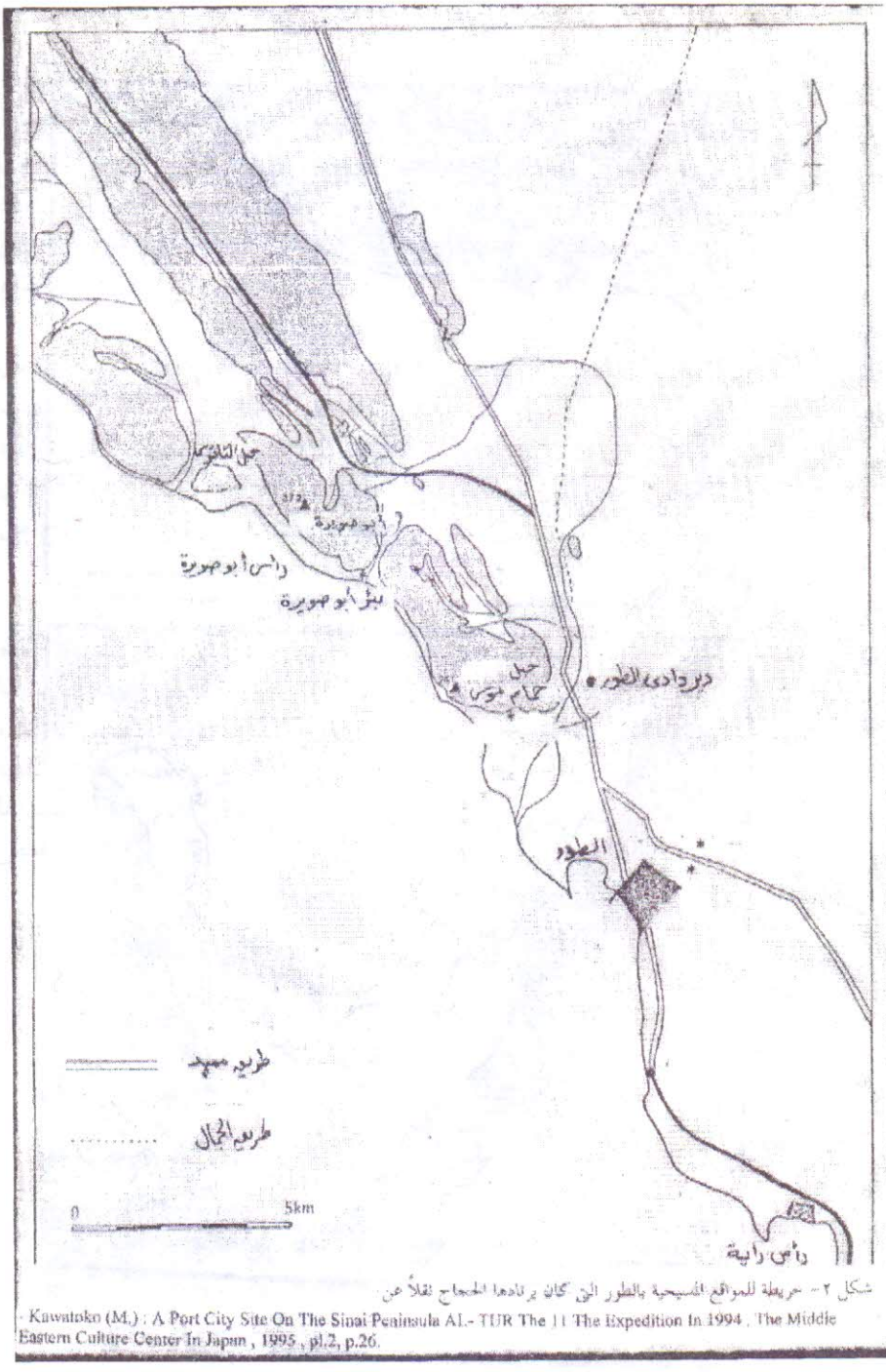

شكل ٢ – خريطة للمواقع المسيحية بالطور التي كان يرتادها الحجاج نقلاً عن

Kawatoko (M.) : A Port City Site On The Sinai Peninsula AL- TUR The 11 The Expedition In 1994 , The Middle Eastern Culture Center In Japan , 1995 , pl.2, p.26.

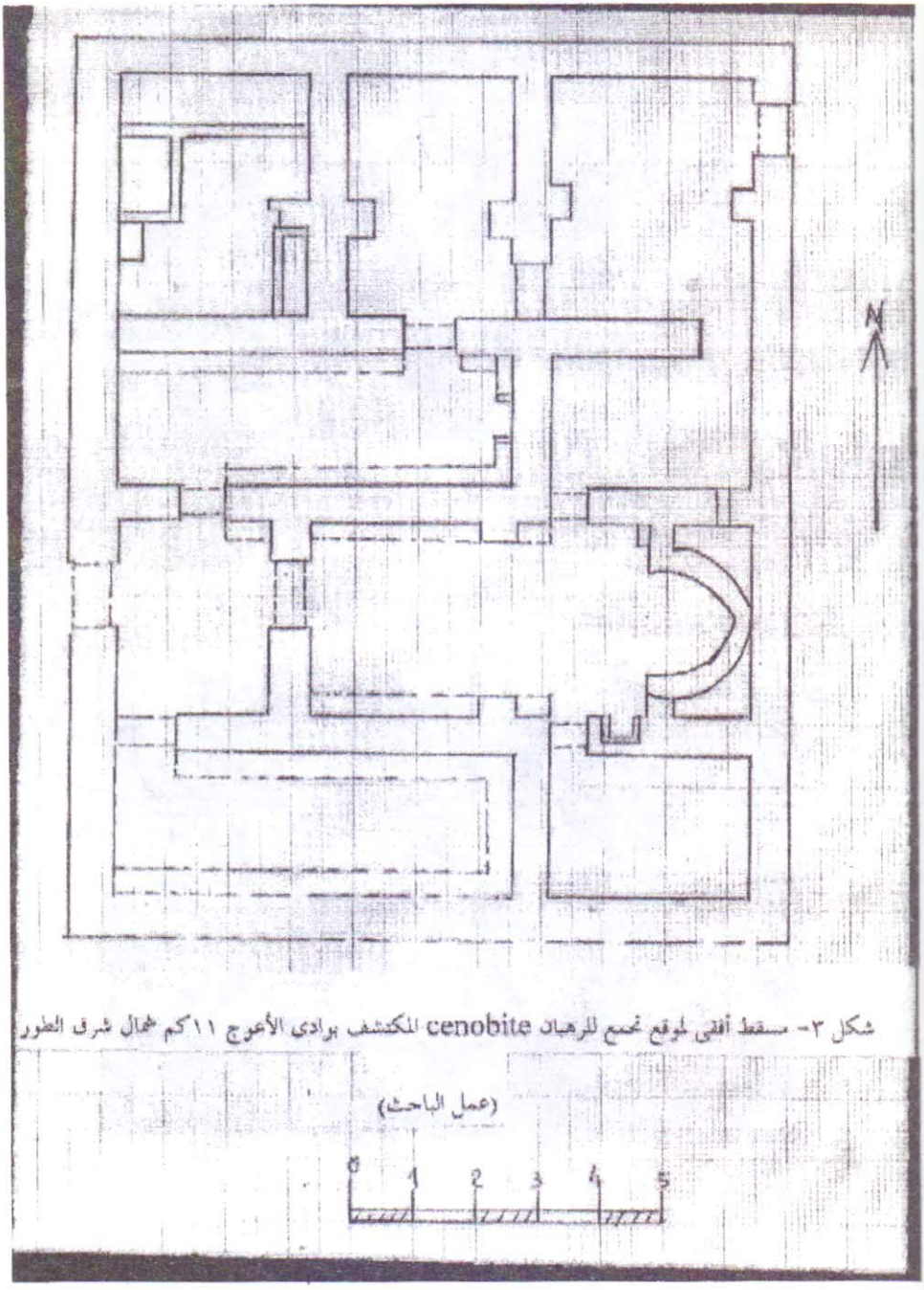

شكل ٣- مسقط أفقي لموقع تجمع للرهبان cenobite المكتشف بوادي الأعوج ١١كم شمال شرق الطور

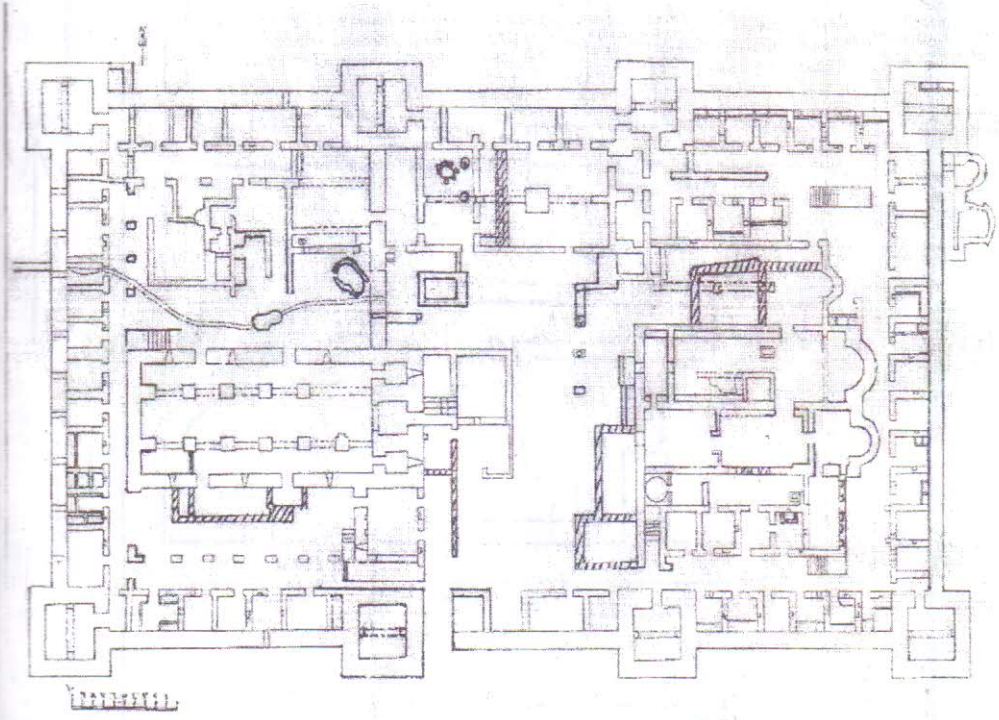

شكل ٤- مسقط أفقي لدير الوادي الذي يقع بقرية الوادي ٢كم شمال شرق القطور (عمل الباحث)

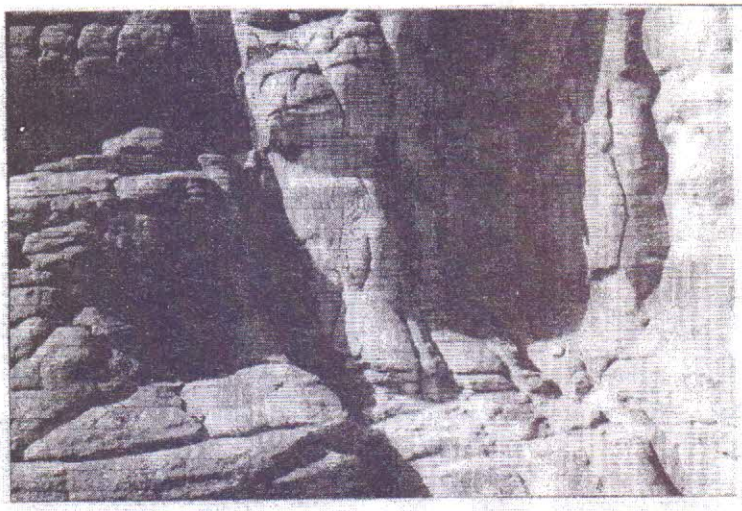

لوحة ١ – الليوراة وهي من الرموز اليهودية على هضبة سحاج لإثبات أحقيتهم بطريق الحج المسيحي كطريق للحج اليهودي

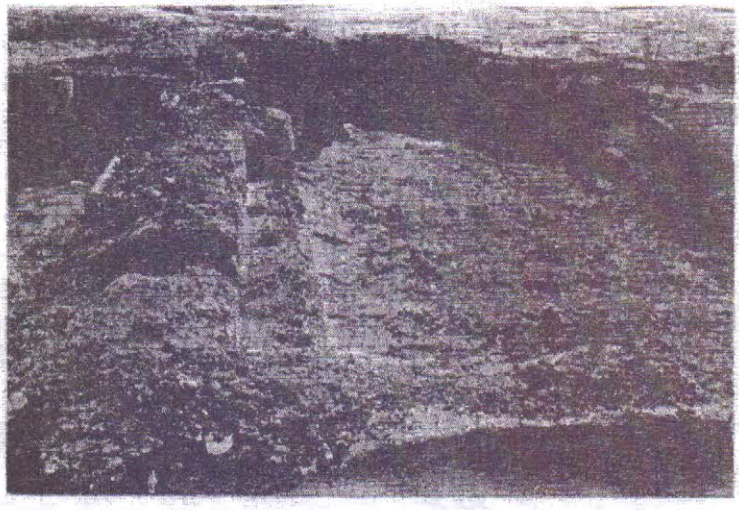

لوحة ٢– موق لتجميع الرهبان مكتشف بوادي الأعوج ١١كم شمال شرقي مدينة الطور